

العدد السنوي  
الخاص

# المنهل

ALMANHAL

مجلة العرب الأدبية

## الطبعة

## الطبعة

دار الهجرة، ومأزرا لإيمان

المنهل العدد ٩٩، العدد ١٣١٣، ١٣١٣ هـ - سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٢ م. JOURNAL Issue No. 499 VOL. No. 54 RABJ, II 1413H, SEP-OCT 1992C.

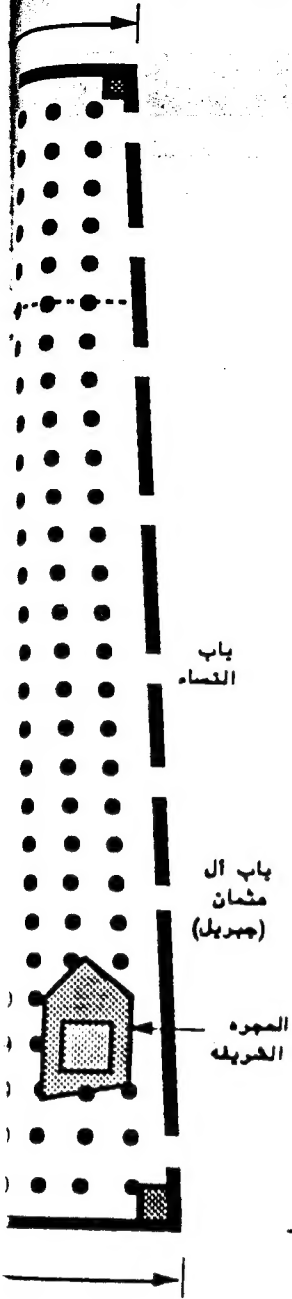
المدينة المنورة أول عاصمة إسلامية، وأول قاعدة عسكرية اتخذها الرسول ﷺ، واستمرت من بعده في عهد الخلفاء الراشدين، يفد إليها المسلمون على اختلاف فئاتهم، لأنها العاصمة، ولأنها مقر لجميع المؤسسات الادارية، وقبل ظهور الدولة الاموية وفي عهد الخليفة الراشد، علي بن أبي طالب، انتقلت العاصمة السياسية إلى مدينة الكوفة في العراق.

ولما اعتلى الامويون سدة الحكم من سنة (٤٠-١٣٢هـ)، اتخذوا مدينة دمشق في بلاد الشام عاصمة لهم، ثم جاءت دولة بني العباس، وأسس أبو جعفر المنصور مدينة بغداد في العراق، واتخذها عاصمة للعباسيين. وبهذا السلوك السياسي الذي ظهر منذ عهد الخليفة علي، أصبحت المدينة المنورة في المفهوم السياسي، مدينة مثل بقية مدن الحجاز الاخرى، لولا أن من الله عليها بهجرة الرسول الكريم ﷺ وبنائه المسجد فيها، وبقائه هو وأصحابه حتى توفاهم الله، ودفنوا فيها وإلا ضاع مركزها، ونتيجة لذلك حرص كل خليفة على بسط سلطانه على المدينة المنورة، والكعبة المشرفة، في مكة المكرمة، وأخذ كل واحد منهم يقاتل من يقف دون تحقيق رغبته، ولذا وقعت فتن وحروب كثيرة بين الطامعين فيها وفي مكة المكرمة، نظرا لمكانتهما المقدسة عند المسلمين، ومن هذا المنطلق سلك خلفاء بني العباس مسلك غيرهم في بذل جهدهم، بجعل الحجاز (المدينة المنورة ومكة المكرمة) تحت نفوذهم، ولهذا سنعالج في هذه الورقات فترة الحكم للخلفاء الثلاثة الاوائل من بني العباس (عبد الله السفاح ١٣٢ - ١٣٦هـ، المنصور ١٣٦-١٥٨هـ، والمهدي ١٥٨-١٦٩هـ) مركزين على الاوضاع السياسية للمدينة المنورة في عهدهم، ثم كيفية تعامل كل واحد من أولئك الخلفاء مع أهل المدينة في ضوء الحياة السياسية.



د. غيثان علي جريس

رئيس قسم التاريخ كلية التربية جامعة الملك سعود - لها



عمارة وتوسعة

## المدينة المنورة.. ورد

هو عمه داود بن علي، حيث ارسله السفاح وأوصاه بالحدز والحيلة تجاه أهل المدينة المنورة والسبب في هذه الوصية هو خوف الخليفة السفاح من بعض العلويين الذي كانوا قد ستوطنوا المدينة، وبخاصة عبد الله بن الحسن الملقب (بالمحض) وولده محمد

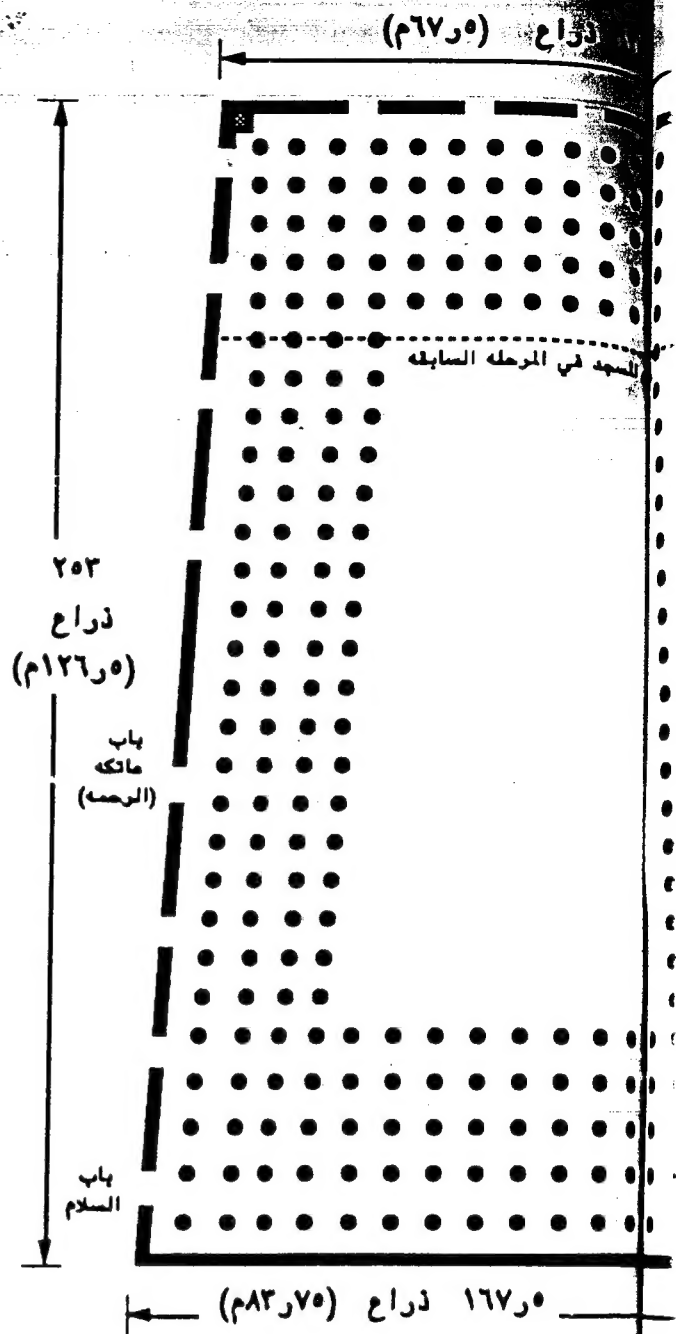
■ الخليفة العباسي الأول الملقب بالسفاح (١٣٢-١٣٦هـ)، عمل في بادئ الأمر على اظهار سلطته في بلاد العراق، ثم ارسل الأمراء من قبله الى ولايات متعددة من البلاد الاسلامية، وكان الذي فاز بولاية المدينة المنورة، أو منطقة الحجاز بشكل عام،

وأولاده في المدينة، فكانا يراقبان تحركاتهم ونشاطاتهم مع أهل المدينة وغيرهم، بل استخدم الخليفة السفاح أسلوب الملاينة واللفظ معهم ومع بعض أفراد أهل بيتهم، فكان يودهم، ويتقرب منهم، ويدعوهم لزيارته في العراق، الى جانب اغداقه الأموال الطائلة والهدايا، واقطاعهم الاقطاعات الزراعية الكثيرة من أراضي المدينة المنورة وغيرها من الأراضي المجاورة لها كسبا لرضاهم، واتقاء لفتنتهم<sup>(١)</sup>.

وعندما جاء الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ)، تبدل الأمر، وتغيرت السياسة التي كان يسلكها الخليفة السابق تجاه المدينة وأهلها، فلجأ إلى استخدام العنف والشدة بدلا من اللين والمسايرة مع عبد الله بن الحسن ولديه، ومع جميع العلويين والمتعاطفين معهم من أهل المدينة المنورة<sup>(٢)</sup>.

وكان الخليفة المنصور عندما يذهب الى الحج، ثم يأتي الى المدينة المنورة يأمر جميع العلويين بالحضور الى مجلسه ليتأكد من ولائهم له، ولا يقتصر الأمر على ذلك، وانما يأمر بحضور من يشك في أمره، وقد يسأل عن شخصيات معينة يفتقدها في مجلسه، مثلما حدث أثناء زيارة له في عام ١٤٠هـ عندما لم ير (محمد النفس الزكية) وابراهيم، ولدى عبد الله بن الحسن، فطلب والدهما، ولما حضر سأل عنهما، فأبدى عبد الله بعض الأعذار ملتصقا لولديه العذر من الخليفة راجيا عدم غضبه منهما<sup>(٣)</sup>. ومن شدة ارتياب الخليفة المنصور من أهل المدينة المنورة أرسل بعض الجواسيس الى المدينة على هيئة تجار أو موظفين في الدولة، أو سدنة يعملون في المسجد النبوي، لكي يدونوا له ملاحظاتهم عن أهلها، وبخاصة عن العلويين ومواليهم والمتعاطفين معهم<sup>(٤)</sup>. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل كان يبحث عن الأمراء الخازمين القادرين على ضبط المدينة وأهلها وجعلها تحت حكمه<sup>(٥)</sup>.

وفي ظل هذه السياسة، لم يستطع العلويون ومن ساندتهم من أهل المدينة، ان يقفوا مكتوفي الايدي، وانما صاروا يخططون بشكل جاد للقيام بالثورة ضد الخليفة المنصور، وعندما أحس المنصور بخطورتهم،



مسجد النبوي الشريف حتى زيادة  
لبه المهدي العباسي

## قِسات من ذاكرة التاريخ

١٣٢ - ١٦٩هـ

(الملقب بالنفس الزكية) وابراهيم، وجميع هؤلاء كانوا من أكثر العلويين ميلا للسياسة، والأهم من ذلك يقينهم بأنهم أحق من العباسيين في الخلافة<sup>(٦)</sup>. ولم يكن الخليفة السفاح وأميره في المدينة المنورة، داود بن علي، غافلين عن نوايا وتطلعات عبد الله بن الحسن

المدينة المنورة (١٩٩٢)

الخليفة وسلطانة<sup>(١١)</sup>. أما القبائل العربية التي انضم أغلبها الى العلويين، فلم يسلموا هم الآخرون من عقاب ابي جعفر المنصور، الذي أمر بجمع اربعمائة من أعيان قبائل مزينة وجهينة مع بعض العلويين، ثم انزل بهم العقاب الجماعي الذي كان متنوعا في اساليبه، فممنهم من سجن، ومنهم من ضرب حتى الموت<sup>(١٢)</sup>.

ولم يسلم بعض رجال العلم والفقه والحديث من عقاب الخليفة المنصور، وأكبر دليل ما ذكرته بعض المصادر التاريخية عن حادثة فتوى للإمام مالك، عندما جاءه بعض أهل المدينة قبل ثورة محمد النفس الزكية، يستفتونه في حكم البيعة التي اعطوها للخليفة المنصور تحت الضغط والاكراه، فأخبرهم انه لا بيعة تحت إكراه، فأخذ بعض أهل المدينة بتلك الفتوى التي رأوا فيها مخرجا لحلهم من بيعة المنصور، وانضممهم لمحمد النفس الزكية<sup>(١٣)</sup>، وعندما انتصر جيش المنصور على العلويين، ثم جاء جعفر بن سليمان العباسي أوقع العقاب بالامام مالك بسبب فتواه، فتذكر بعض الروايات أنه ضرب سبعون سوطا، وعذب حتى خلعت يده من كتفه، فبقى معاقا طول حياته<sup>(١٤)</sup>.

وما قام به الخليفة المنصور أو واليه في المدينة المنورة ضد من ساعد العلويين ليس بالأمر الخفي حيث إن الوضع السياسي يحتم عليه وعلى ممثليه في المدينة وغيرها أن يحافظوا على كيان الدولة الناهضة ويقسموا جميع الثورات التي تظهر ضدهم سواء أكانوا من قبيلة قريش أم غيرها.

وتذكر المصادر الاولى أن الذي أخذ القرار والتنفيذ بضرب الامام مالك هو أمير المدينة جعفر بن سليمان دون علم الخليفة المنصور، بل وتذهب بعض الروايات الى أبعد من ذلك في أن الخليفة عندما سمع بما فعل جعفر لمالك ذهب الى المدينة المنورة، وعزل جعفر بن سليمان من الامارة، ثم استسمح (الامام مالك) موضحا له أنه لا علم له بما فعل جعفر بن

أمر بترحيل عبد الله بن الحسن وعدد من أهل بيته من المدينة الى بغداد، في حين أن (محمد النفس الزكية) وأخاه ابراهيم هربا عندما سمعا بالخبر، ونجوا من الوقوع في يد المنصور، الذي قام بمعاقة كل من حضر من العلويين حتى الموت، فقام محمد النفس الزكية بتأليب أهل المدينة ومن حولها، ثم الثورة ضد الخليفة المنصور سنة ١٤٥هـ<sup>(١٥)</sup>.

والغريب في الامر أن الخليفة عندما علم ما قام به محمد النفس الزكية، لم يكن يتفاعل بشكل سريع فيرسل له من يحاربه، وانما تريت بعض الوقت، حتى ينجلي الموقف، ويعرف غرض النفس الزكية الذي أرسل له رسالة مطولة يذكر له فيها أحقية نسل علي بن أبي طالب بالخلافة، لمواقفه في الدفاع عن الاسلام، وتفانيه في خدمته، ولكونه أول من أسلم دون أن يسجد لصنم، ثم استطرد يعدد مناقب الطالبين، ويبرز مثالب العباسيين واجدادهم، وفي نهاية الرسالة يطالب الخليفة المنصور بالتنازل عن الخلافة وتركها لأهلها من العلويين، فرد المنصور على تلك الرسالة برسالة مطولة نقض فيها حجج محمد النفس الزكية، مشيراً الى أحقية بني العباس بها، مستندا على العديد من المبررات التي دفعته لإرسال جيش يبلغ عدده أربعة آلاف جندي<sup>(١٦)</sup>، بقيادة ولي عهده عيسى بن موسى العباسي، فساروا حتى قدموا الى المدينة، وحاربوا النفس الزكية، مستعينا بما انضم اليه من القبائل القاطنة في المدينة ومن حولها، ونتج عن ذلك قتل محمد النفس الزكية، ومطاردة فلول جيشه ومناصريه من القبائل<sup>(١٧)</sup>. ولم يتورع الخليفة المنصور بعد قضائه على محمد النفس الزكية من معاقة كل من ساعد العلويين من أهل المدينة على القيام بشورتهم، حيث تذكر بعض الروايات التاريخية، انه أرسل واليه جعفر بن سليمان العباسي الى المدينة المنورة ليقبض على كل من ساعد محمداً من القرشيين فيضعه في السجن، أما من ثبتت ادانته من الموالي فتقطع يده عقابا له على مناصرته للعلويين ضد

من الخليفة.

(ج) ان عزل جعفر بن سليمان من منصبه كأمر للمدينة مقابل ضربه الامام لم يكن في اعتقادي الا صورة من صور سياسة المنصور، وإلا لماذا أعطي امارة الحجاز في عهد الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) الذي لا يستبعد أن يكون تعيينه بناء على وصية والده، الذي ثبت له اخلاصه في ضربه الامام مالك<sup>(١٨)</sup>.

(د) أيضا أن من يتابع الفترة الزمنية التي أعطى فيها الامام مالك فتواه كانت في منتصف عام ١٤٥هـ/ ٧٦٢م مع أن جعفر بن سليمان لم يعين أميرا على المدينة الا في ربيع الأول من عام ١٤٦هـ/ ٧٦٣م وهذه الفترة الزمنية تكون كافية للخليفة المنصور وجعفر بن سليمان في أن يحكما الخطة في ضرب مالك، وبالتالي يذهب الخليفة ليستأذن من مالك فيما حل به ثم يعزل الامير وبهذا يكون قد ظهر أمام الرأي العام بأنه يحترم ويحل العلماء ويدافع عنهم هادفا الى اظهار نفسه بالدفاع عن رجال العلم ليكسب رضا الناس وبالتالي الاستقرار، ولهذا قام بالالتقاء بهالك وطلب منه الصفع وأخبره ان ما جرى له من ضرب واهانة لا علم له به.

■ ورغم ان الخليفة المنصور كان صارما وقويا على الثوار ومن ساندتهم، إلا أن المصادر التاريخية لم تنس بعض الجوانب الايجابية التي قدمها لأهل المدينة. فيذكر انه ذهب للحج ست مرات، وفي كل مرة كان يذهب الى المدينة فيلتقي بعلمة القوم فيها فيسمع منهم، ويتفقد أحوالهم، ثم يوزع عليهم الكثير من الاعطيات والأرزاق المتنوعة<sup>(١٩)</sup>. وقد أشارت بعض المصادر المبكرة الى أن المنصور ذهب الى المدينة عام ١٤٠هـ فوزع على أهلها أعطيات حسنة، الا أن أشرف قريش نالوا نصيب الأسد من تلك الاعطيات، دون أن تذكر مقادير ذلك العطاء، الا

سليمان، ولم يكن لديه علم بما أنزل به من عقوبة، ثم قال له «ان رابك ريب من عامل المدينة، أو عامل مكة، أو احد من عمال الحجاز في ذاتك، أو ذات غيرك، أو سوء سيرة في الرعية، فكتب لي بذلك، أنزل بهم ما يستحقون، وقد كتبت الى عمالي بهذا، ان يسمعوا منك ويطيعوا كل ما يعهد اليهم، فأنهم عن المنكر وأمرهم بالمعروف تؤجر على ذلك، وانت حقيق ان يطاع أمرك ويسمع منك»<sup>(٢٠)</sup>.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل من المعقول أن يقوم جعفر بن سليمان بضرب الامام مالك ومعاقبته دون علم الخليفة المنصور؟ وللإجابة على هذا السؤال فانه من المستبعد صحة كل ما قيل، ولا يمكن أن يقدم جعفر بن سليمان على عمله فيما يتعلق بهالك الا بإشارة من الخليفة والأدلة التي تجعلنا نجزم بأن الخليفة هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في ضرب مالك عديدة، ومن أهمها:

(أ) أن ما سطرت المصادر الأساسية عن حنكة وسياسة الخليفة المنصور تشير الى أنه ذلك الرجل القوي الذي كان قابضا على زمام أمور الدولة بيد من حديد، وبهذا فإنه ليس من السهل أن يتصرف جعفر بن سليمان دون علمه خصوصا في ضرب إمام دار الهجرة ومؤسس المذهب المالكي، مالك بن أنس، وفي حالة أن نلقي نظرة أيضا على سياسة المنصور تجاه مراقبة الاوضاع في المدينة ومتابعة سير الأمراء الذين كان يرسلهم لضبط البلاد نستطيع أن نعرف مدى سيطرته على البلاد ومدى مركزيته في حكم الاجزاء البعيدة عن مقر الخلافة في العراق<sup>(٢١)</sup>.

(ب) أن جعفر بن سليمان لم ينزل العقاب بالقرشيين والموالي الذين ساندوا العلويين حتى جاءه الأمر من المنصور في أن ينفذ أمر العقاب عليهم فيسجن القرشيين ويقطع أيدي الموال<sup>(٢٢)</sup>، وهذا الأمر دليل على أن جعفر بن سليمان لم يضرب مالكا الا بإشارة



الصحابية، رضي الله عنهم، لنحمل الناس على علمك وكتبك ونبثها في الامصار»<sup>(١١١)</sup>.

■ ومن بعد الخليفة المنصور جاء ولده الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ)، فلم يكن يقابل مثل المشكلات والثورة التي قابلها سلفه من قبل، وانما على العكس من ذلك فقد وجد حكما مهيثا لأن يتخذ سياسة مغايرة لمن سبقه، فلم يكن هناك اصطدامات أو حروب عسكرية يسعى الى المساهمة فيها، ولم يكن هناك ثورات يقوم بالتصدي لأصحابها، وانما كان عليه أن يقوم ببعض المساهمات الحضارية التي يصون بها أوضاع دولته، وكان من ضمن المساهمات التي اتخذها النظر لأهل المدينة المنورة من حيث المكان والسكان فعمل على التقرب منهم عن طريق العطايا والهبات، كذلك أقام بعض المشاريع العمرانية، والاصلاحات الاجتماعية.

فعندما تولى المهدي الخلافة عام ١٥٩هـ، ولى المغيرة بن خبيب الزبيري مهمة توزيع بعض الاعطيات والهدايا على أهل المدينة، ويذكر أنه زاده ألف فريضة يفرضها لمن شاء من سكان المدينة<sup>(١١٢)</sup>. ولم يكن يتوقف الخليفة المهدي عند ما سبق ذكره، وانما أعطى بعض أهالي المدينة الاقطاعات الزراعية، فيذكر أنه أقطع الحسن بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوي مالا من ديوان الصوائف بالمدينة المنورة، كما تشير بعض الروايات الى أنه أعطى المغيرة بن خبيب الزبيري عيونا وأرضا زراعية ببعض نواحي المدينة<sup>(١١٣)</sup>، ثم انه لم يقتصر في اعطيته على الأراضي الزراعية والعيون وما شابهها، وانما كان أيضا يدفع المبالغ الكثيرة لمن يأتيه الى العراق من عرب المدينة المنورة، فنذكر بعض الروايات انه استقبل في احدى المرات الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب فأكرمه وأحسن وفادته، ثم اعطاه مبلغا قدره أربعون ألف دينار<sup>(١١٤)</sup>، ومثل هذه التصرفات من الخليفة المهدي ربما تكون عائدة الى طبعه ووجهه للخير، وربما تكون عائدة الى علاقاته مع بعض رجال

أنه شمل أيضا نساء قريش حيث ذكر أن بعضهن حصلن على صحائف الذهب والفضة مع الكساوي الجيدة<sup>(١١٥)</sup>. والمشكلة الظاهرة على هذه الاعطيات أنها كانت مخصصة لأهل المدينة وليست أيضا لجميعهم، وانما كانت غالبا لعلية القوم من القرشيين، وهذا العمل ربما يكون سياسة من الخليفة في أن يكسب الى جانبه بعض الشخصيات الهامة في المدينة المنورة لتكون عوناً له على العلويين ومن ساندتهم، أو ربما كان يسعى الى شراء قلوب أعيان المجتمع حتى لا يثوروا عليه ويساعدوا الثوار ضده.

■ ومن أعطيات وهدايا الخليفة المنصور ما أشار اليه الفسوي عندما ذهب الخليفة الى الحج عام ١٥٢هـ، وقام بتوزيع مقادير كثيرة من الأموال والهدايا على أهل المدينة، ومع أن الفسوي هو المصدر الوحيد الذي ذكر هذه الاعطيات والهدايا إلا أنه لم يعط توضيحا أكثر عن كميات ومقدار تلك الهبات، أو عن من حصل عليها من سكان المدينة<sup>(١١٦)</sup>. أيضا كان للخليفة المنصور بعض الأعمال الخيرية التي تشمل بعض أفراد المدينة المحتاجين، فيذكر النويري بأنه أمر واليه في المدينة، زياد بن عبيد الله الحارثي، بأن يحرص على زيارة كبار السن والمعوزين من الرجال والنساء واعطائهم ما يحتاجون من كساء وغذاء، بل وأمره بأن يوزع بعض الاعطيات على النساء الأرمال، والأيتام والعميان في جميع نواحي مدينة الرسول ﷺ<sup>(١١٧)</sup>.

وكان الخليفة المنصور يتقرب من علماء المدينة، وبخاصة الامام مالك، فعندما يذهب الى الحجاز يحرص على مقابلته، وقضاء حوائجه، بل ويطلب منه القيام ببعض الأعمال الدينية، ومما يؤكد ذلك انه طلب منه احدى المرات ان يضع منهاجاً لادارة الدولة يقوم على أسس دينية سليمة حيث قال: «يا ابا عبد الله ضع هذا العلم - يقصد علم الامام مالك - ودونه ودون فيه كتباً وتجنب شدايد عبد الله بن عمر ورخص عبد الله بن عباس وشواذ ابن مسعود، واقصد الى أوسط الأمور، وما اجتمع عليه أئمة

المدينة المنورة كالمغير الزبيري، حيث يذكر أن علاقته به كانت قوية، ولكن لابد أن تصرفاته أيضا مع بعض رجال العلويين على وجه الخصوص، كانت قائمة على مبدأ سياسي حيث كان يهدف إلى أن يحوى المعارضين، ويستبدل غضبهم بالمحبة باعطائهم الهدايا، ويظهر جليا فيما قدمه لكل من الحسن بن ابراهيم، والحسن بن على من العلويين<sup>(٣١)</sup>.

■ وفي عام ١٦٠هـ حج الخليفة المهدي، ثم وزع أموالا كثيرة على سكان المدينة، ويشير الطبري إلى تلك الأموال فيذكر أن الخليفة أحضر معه من العراق ثلاثين مليون درهم ومائة وخمسين ألف ثوب، وجاءه من مصر ثلاثمائة ألف دينار، ومائة ألف دينار من اليمن، فوزع أكثرها على سكان المدينة ومن حولها<sup>(٣٢)</sup>، وكون الطبري يذكر هذه الرواية، فهو لم يوضح لنا طريقة توزيعها، ولا مقدار العطاء لكل فرد أو أسرة في المدينة، مع أن الأرقام المشار إليها خيالية في مقاديرها، ولكن لم يكن الطبري هو الوحيد الذي أشار إليها، وإنما جاء بعده عدد من المؤرخين أشاروا إلى توزيع تلك الأموال على أهل الحجاز، وبخاصة سكان المدينة المنورة<sup>(٣٣)</sup>.

ولم تكن أعمال الخليفة المهدي مقتصرة على توزيع المال والثياب على أهل المدينة في سنة ١٦٠هـ، وإنما بعض المصادر التاريخية المبكرة تذكر أن في تلك السنة نفسها أمر الخليفة ببناء بيوت للعجزة والمرضى في جميع أنحاء المدينة المنورة، واجزل العطايا والهبات إلى كل المرضى والمجذومين بها<sup>(٣٤)</sup>، وأمر أيضا بتصدير الحبوب، وبخاصة القمح من مصر إلى أهل المدينة المنورة، بعد أن كان قد قطعه عنهم أثناء مساندتهم لشورة محمد النفس الزكية في عهد والده<sup>(٣٥)</sup>، ولأن المهدي كان يدرك أن تصدير الحبوب من مصر إلى المدينة كان لا يسد حاجة سكانها، فأمر بنهر الصلة من مدينة واسط من العراق بأن يعمر وتزرع الأراضي من حوله ثم يرسل خمسا الانتاج من محصوله إلى أهل المدينة، وأن تكون هبة سارية المفعول لمدة خمسين

سنة<sup>(٣٦)</sup>. ومن يلقي نظرة على قائمة الخراج التي أوردها ابن قدامة، في كتابه الخراج، عام ٢٠٤هـ يجد أن مقادير محاصيل نهر الصلة كانت ألف كر من الحنطة، ٣١٢١ كر من الشعير، ٥٩٠٠٠ درهم، وهذا لو حاولنا معرفة ما كان يرسل إلى أهالي المدينة وعلى ضوء السياسة التي رسمها المهدي، فإننا نجد نصيبهم كالآتي: (٣٧)

$$١٠٠٠ \times \frac{٥}{٢} = ٢٥٠٠ \text{ كر من الحنطة.}$$

$$٣١٢١ \times \frac{٥}{٢} = ٧٨٠٢٥ \text{ كر من الشعير.}$$

$$٥٩٠٠٠ \times \frac{٥}{٢} = ١٤٧٥٠٠ \text{ درهم.}$$

واستمرت أعمال الخليفة المهدي تجاه أهل المدينة، إذ لم تتوقف عند زيارته لها في عام ١٦٠هـ، إنما كرر الزيارة في عام ١٦٤هـ، وانفق أموالا طائلة على أغلب سكان المدينة، فيذكر لنا ابن بكار ما حدث معه أثناء ذهابه إلى المدينة في تلك السنة، فبعد وصوله إليها اجتمع بأعيان قريش وفقهاء وعلماء المدينة، ثم أمر أحد أصحابه، وهو المغيرة بن خبيب الزبيري، فوزع أموالا كثيرة عليهم حتى «أصاب مشيخة بني هاشم، أكثرهم خمسة وستون دينارا، وأقلهم خمسة وأربعون دينارا، ومشيخة القرشيين، أكثرهم خمسة وأربعون دينارا، وأقل القرشيين سبعة وعشرون دينارا، ومشيخة الأنصار أكثرهم سبعة وعشرون دينارا، وأقل الأنصار سبعة عشر دينارا، والعرب أكثر من الموالي، ومشيخة الموالي خمسة عشر دينارا»<sup>(٣٨)</sup>.

■ ومن هذا النص، الذي أورده ابن بكار، نستنتج أن الخليفة وزع تلك الأموال على مستوى القرابة من أهل بيته، إذ كان بنو هاشم ثم القرشيون هم من الأوائل في الحصول على النصيب الأكبر من تلك التوزيعات، ومع أننا لا نعلم المجموع الكلي الذي تم توزيعه، إلا أنه بالتأكيد كان كثيرا جدا لأن ابن بكار نفسه ختم حديثه بذكر عدد الذين استفادوا من تلك الأموال في المدينة المنورة وما حولها، فقال: إن عددهم يزيد على الثمانين ألف شخص<sup>(٣٩)</sup>.

ومن جانب آخر يتضح لنا أن الخليفة المهدي كان يعير أهل المدينة كل الاهتمام، فلم يكن يكتفي بتلك المبالغ التي ذكر ابن بكار أنه وزعها سنة ١٦٤هـ، وإنما هناك صورة أخرى يروها لنا ابن قتيبة، فيذكر أنه في سنة ١٦٧هـ تم الالتقاء بين الخليفة المهدي وامام دار الهجرة مالك بن أنس، فكان الأخير قد أوصى الخليفة المهدي بأن يكون جوادا كريما على أهل الحجاز وخاصة أهل المدينة، ثم ذكره بالحاجة الماسة التي هم فيها من ضيق العيش، مع تذكيره بأنهم أهل مدينة رسول الله ﷺ، فلم يكن رد الخليفة عليه إلا أن قال «صدقت فيهم وبررت، وحضضت على الرشد، فأنت أهل أن يطاع أمرك ويسمع قولك، فأمر لهم بخمسة أبيات مال، البيت عندهم خمسمائة ألف، وأمر مالكا أن يختار من تلاميذه رجالا يثق بهم، ويعتمد عليهم يقسمونه على أهل المدينة»<sup>(٣٧)</sup>.

■ ومن يقف عند النصين اللذين ذكرهما كل من ابن بكار وابن قتيبة أثناء زيارة الخليفة المهدي للحجاز في عامي ١٦٤هـ و ١٦٧هـ يجد أن الأعطيات التي أعطاها الخليفة لم تكن إلا على أهل المدينة دون أن يظهر أي ذكر لأهالي المدن الأخرى في أرض الحجاز، ولهذا فإن هناك أكثر من احتمال في أن المصادر الأولية أغفلت ذكر هباته وأعطياته تجاه أهل مكة والطائف وجدة وغيرها من المدن، أو أنها لم تهمله لأنه لم يكن يعطيهم شيئا وإنما أعطى أهل المدينة لأهداف سياسية وخصوصا بعد تذكر تلك المواقف التي وقفها أهل المدينة في عهد والده ولأن من كان يترأس الثورات في عهد محمد النفس الزكية هم سكان وقبائل المدينة، ثم لوجود الامام مالك الذي كان الخليفة المهدي يكن له كل تقدير واحترام، كل هذه الأمور جعلت الخليفة يسلك سياسة الحنكة والدهاء وذلك باعطاء الأعطيات السخية لأهل المدينة بصفتهم يشكلون عليه خطرا وقد يشورون ضده كما ثاروا مع محمد النفس الزكية ضد والده من قبله، وبهذا رأى أنه من الأحسن شراء قلوبهم بتلك الأموال التي يوزعها

عليهم وفعلا هذا ما كان يتطلع اليه وقد نجح في سياسته، فلم نجد أي مصدر تاريخي يذكر قيام أي حركة أو ثورة سياسية من قبل أهل المدينة في عهده. ولم يكن الخليفة المهدي يقصر في يوم ما عن اتصاله بعلية القوم في المدينة، وبخاصة الفقهاء والعلماء الذين كان يتزعمهم امام دار الهجرة، الامام مالك بن أنس، فكان كلما ذهب الى المدينة المنورة يحرص على الالتقاء بهم ومشاورتهم في العديد من الأمور، فتذكر بعض المصادر انه أراد هدم الكعبة واعادة بنائها الى ما كانت عليه في عهد عبد الله بن الزبير<sup>(٣٨)</sup>، واستشار في ذلك علماء المدينة، فقال له الامام مالك «دعها فاني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها الخليفة»<sup>(٣٩)</sup>، نزولا عند رأى الامام، وفي رواية أخرى، ان الخليفة المهدي استشار فقهاء المدينة المنورة في نقض منبر الرسول ﷺ واعادة صنعه، فقال الامام مالك، ان هذا المنبر مصنوع من خشب الطرفاء، وأنه يخاف عندما ينقض أن ينكسر ولا يصلح مرة أخرى، فتركه الخليفة بعد مشورة الامام مالك.

وقد اهتم الخليفة المهدي ببعض الاصلاحات والمشاريع الخيرية في المدينة المنورة، ففي عام ١٦٢هـ عمل على توسعة المسجد النبوي، واعطى واليه على المدينة، جعفر بن سليمان العباسي، صلاحية الاشراف العام على تنفيذ تلك التوسعة، ويصف لنا ابن النجار الخطوات التي اتبعها جعفر في تنفيذ رغبة الخليفة المهدي، وذلك بذكر كتابة نقشها جعفر بن سليمان في صحن المسجد، بعد الانتهاء من العمل كان قد ابتدأها بالبسملة والحمد ثم الدعاء للخليفة المهدي الذي تولى الاتفاق على ذلك المشروع المقدس، ثم ذكر العام الذي تمت فيه بداية تنفيذ التوسعة وذلك العام الذي انتهت فيه فيقول «... وكان مبتدأ ما أمر به عبد الله المهدي، محمد أمير المؤمنين اكرمه الله من الزيادة في مسجد رسول الله ﷺ في سنة اثنين وستين ومائة، وفرغ منه سنة



خمس وستين ومائة، فأمر المؤمنين أصلحه الله محمد الله على ما أذن له واختصه به من عمارة مسجد رسول الله ﷺ وتوسعته هذا كثيرا، والحمد لله رب العالمين على كل حال»<sup>(١)</sup>.

وللخليفة المهدي بعض الاصلاحات العامة الأخرى، فيذكر انه أنشأ بعض الحمامات والبرك العامة في أماكن عديدة من المدينة المنورة، وبخاصة حول المسجد النبوي، ومن اهتماماته في تصميم الحمامات انه كان يوجد حمامات خاصة بالرجال، وأخرى خاصة بالنساء<sup>(٢)</sup>.

■ وخلاصة القول: ان خلفاء بني العباس الأوائل (السفاح والمنصور، والمهدي) قد اختلفوا في مواقفهم تجاه المدينة المنورة وأهلها، فالخليفة السفاح، كان يستخدم أسلوب اللين وشراء قلوب الناقمين عليه، وعبد الله بن الحسن (الملقب بعبد الله المحض) وأهل بيته كان من الحاقدين على البيت العباسي، ويرى أنه أولى منهم بالخلافة، ولمعرفة السفاح لذلك فكان يداهنه حتى استطاع ان يبقي على الثورة التي قام بها ولده، محمد النفس الزكية، في عهد الخليفة

المنصور الذي جاء بعد السفاح، وتغيرت سياسة المداينة عند المنصور، فلم يكن يستخدم مع العلويين، ومن ساندتهم من قبائل المدينة، الا القمع والضرب والتنكيل، وبالتالي أدى ذلك الى ظهور ثورة محمد النفس الزكية عام ١٤٥هـ، فاستطاع المنصور القضاء على قائد الثورة، محمد النفس الزكية، بل واستطاع انزال العقوبة بكل من ساندته من أهل المدينة. وبعد ذلك دانت أرض المدينة للحكم العباسي، فلم يكن الخليفة المنصور ينسأهم من بعض الصدقات والهبات، فكان يذهب اليهم أثناء حجه ويسمع من أعيانهم وفقهائهم، ويوزع عليهم الأعطيات ويحل مشاكلهم. ولكن لم يكن الخليفة المنصور مثل ولده المهدي، فلقد جاء الأخير فلم يكن امامه عوائق، وانما تولى دولة مترامية الأطراف، وخزانة مليئة بالأموال، فبذل بعض الجهود الحسنة تجاه أهل المدينة، فوزع عليهم صدقات كثيرة، وأمواالا طائلة، وقام بتوسعة المسجد النبوي، وقدم بعض الاصلاحات الخيرية والاجتماعية تجاه الأرض والسكان في مدينة الرسول ﷺ.

### الهوامش والتعليقات

- انظر: احمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد المحمودي (بيروت، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) ج٣، ص ٢٢٢، احمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق احمد أمين وآخرين (القاهرة ١٩٦٧م) ج٥، ص ٧٤.
- (٤) تذكر العديد من المصادر تعاضف بعض سكان المدينة مع العلويين، بل ومساندتهم ضد الخليفة المنصور، بل وضد بني العباس بشكل عام، للمزيد من التوضيح حول هذه النقطة انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٠٣ وما بعدها، البلاذري، أنساب الأشراف، ج٣، ص ٨٨ وما بعدها.
- (٥) الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٢٢، البلاذري، أنساب، ج٣، ص ٨٦-٨٥.
- (٦) حول سلوك الخليفة المنصور في نظام التجسس، وبخاصة تجاه العلويين في المدينة. انظر: البلاذري، أنساب، ج٣، ص ٨٦-٨٥، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥١٩ وما بعدها، وانظر أيضا مقالنا «صورة من تطور نظام العيون (الاستخبارات) خلال القرون الإسلامية الأولى» جامعة عين شمس، مركز بحوث الشرق الأوسط، سلسلة دراسات، عدد (٨٩) ص ٩-٧.
- (٧) البلاذري، أنساب، ج٣، ص ٨٦-٨٥، أبو عبد الله الزبير بن بكار، أخبار الموفقيات، تحقيق سامي المعاني (بغداد ١٣٩٢هـ) ص ٣٦٨، انظر مقالنا عن الامارة والأمراء في مجلة العصور عدد يناير ١٩٩٢م.

(١) حول الامارة والأمراء في الحجاز انظر مقالنا في مجلة العصور، عدد يناير، عام ١٩٩٢م.

(The Governorship in the Higaz During the Early Abbasid Period 132A.H-232A.H)

- (٢) لقد واجه العلويون العديد من الصدامات العسكرية في عهد خلفاء بني أمية، ومن أعظم تلك الصدامات، موقعة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية، التي قتل فيها العديد من بيت الحسين بن علي بن أبي طالب، ونقل من بقي حيا الى المدينة المنورة، وعند ظهور بني العباس بدعوتهم السرية في أواخر الحكم الأموي، كان بعض أفراد البيت العلوي يعتقدون ان الأمر السياسي سيكون لواحد من بينهم، ومن ضمن أولئك الأفراد عبد الله بن الحسن وولده محمد وإبراهيم، للمزيد من التفصيل عن العلويين والعباسيين في أواخر الحكم الأموي، وظهور الحكم العباسي انظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة ١٩٦٠م) ج٧، ص ٤١٢ وما بعدها، أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، تحقيق السيد أحمد صقر (بيروت، تاريخ النشر غير معروف) ص ١٧٩ وما بعدها، أحمد شلبي، التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ط٤ (القاهرة ١٩٧٠م) ج٣، ص ٦٢-١٩.
- (٣) للمزيد من التفصيلات عن سياسة السفاح مع العلويين في المدينة المنورة،

## الهوامش

- (٢٣) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص ١٥٠، الطبري، تاريخ، ج٧، ص ٥٣٩.
- (٢٤) ابن بكار، جهرة، ج١، ص ١٢٤. وما بعدها، وقد اشارت الى هذه النقطة مصادر ومراجع اخرى، أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد ومدينة السلام (القاهرة ١٣٤٩هـ) ج١٣، ص ١٩٤.
- A.S. Tritton (Notes on the Muslim System of Pension) Bulletin of the school of Oriental and African studies, Vol. XVI (1954) PP. 170-2.
- (٢٥) انظر، ابن بكار، جهرة، ج١، ص ١٠٩، ابو عبد الله مصعب الزبيري. كتاب نسب قريش، تحقيق ليفي برونفيسال (القاهرة ١٩٥٣م) ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري. معجم ما استعجم، تحقيق مصطفى السقا (القاهرة ١٣٦٤هـ) ج١، ص ١٦٦.
- (٢٦) الطبري، تاريخ، ج٨، ص ٢٠٠.
- (٢٧) وما يؤكد ما ذهبنا اليه هو ان الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب لم يتورع عن القيام بثورة ضد الخليفة الهادي (١٧٩-١٧٠هـ)، الذي خلف الخليفة المهدي، وذلك لأنه لم يجد الهادي على نمط السياسة التي كان عليها المهدي، وانما كان شديدا على العلويين، وبخاصة في المدينة المنورة. فثار ضده في أواخر عام ١٦٩هـ. وبهذا نستطيع القول بأن الخليفة الهادي كان تقريبا مثل الخليفة المنصور حيث كان كل واحد منهما شديدا في سياسته ضد العلويين في المدينة المنورة وغيرها، في حين ان الخليفة المهدي كان قريبا في سياسته من الخليفة السفاح، وذلك بحبهما للمهادنة وشراء قلوب الرجال، الذين يخافون منهم، بالمال واعطاء العطايا والهباءات، انظر تفصيلات اكثر. البلاذري، انساب الاشراف، ج٣، ص ٨٠-٨٣، ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص ٧٤.
- (٢٨) الطبري، تاريخ، ج٨، ص ١٣٣.
- (٢٩) انظر في المصادر التي اشارت الى اعطيات المهدي لأهل المدينة عام ١٦٠هـ، المطهر بن طاهر المقدسي، كتاب البدء والتاريخ (باريس ١٩٦١م) ج٦، ص ٩٦، اساعيل بن علي بن كثير، البداية والنهاية (بيروت ١٩٦٦م) ج١٠، ص ١٣٢، شمس الدين الذهبي، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير (القاهرة ١٣٦٩هـ) ج٦، ص ١٦٧، حال الدين بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تاريخ البشر غير معروف، ج٢، ص ٣٦، عبد الرحمن بن حلدون، تاريخ ابن حلدون (بيروت ١٩٦٦م) ج٣، ص ٤٤٤.
- (٣٠) انظر، المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٩٦، عز الدين بن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت ١٣٨٥هـ) ج٦، ص ٥٧.
- (٣١) ابن بكار، اخبار الموفقيات، ص ٣٣٩، ابن كثير، البداية والنهاية ج١٠، ص ٢٦٢.
- (٣٢) انظر أبو الفرج قدامة، كتاب الخراج (لیدن ١٨٨٩م) ص ٢٤١-٢٤٢.
- (٣٣) انظر كتاب الخراج، لقدامة، ص ٢٤١-٢٤٢. والكر هو أكثر أحجام المكائيل عند العرب، وقد يعادل ١٦٥٠ غرام بالأوزان الحديثة. انظر، محمد صبيح الدين الرئيس، الخراج والقطعة المالية للدولة الإسلامية، ط٣ (الذهرة ١٩٦٩) ص ٣٥٥ وما بعدها.
- (٣٤) ابن بكار، جهرة، ج١، ص ١١٠-١١١.
- (٣٥) المصدر نفسه.
- (٣٦) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ج٢، ص ١٥١-١٥٢.
- (٣٧) تمريه من التفصيل حول تاريخ الكعبة، انظر ابو الوليد محمد لأرقى، حصار مكة وبها، ج١، ص ١٢٠، حقيق رشدي منحس (مكة تكريمه ١٤٠٣هـ) ج١، ص ١٥٧ وما بعدها، ص ٢٠١-٢٣٠.
- (٣٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٠، ص ١٣٢.
- (٣٩) محمد بن محمود النجار، الذرة النيرة في تاريخ اندية (مكة تكريمه)، تاريخ البشر غير معروف، ص ٣٧٤-٣٧٥. (ملحق بأخبار الجزء الثاني من كتاب شعاع العرب للعقاسي).
- (٤٠) انظر ابو اسحاق ابراهيم الخري، كتاب المسالك وأماكن طرق الحج ومعة الخيرية (الربيع، ص ١٣٨٩هـ) ص ٤٠٩.

- (٨) للمزيد من التفصيل عن الثورة التي قام بها محمد النفس الزكية ضد الخليفة المنصور في المدينة، انظر، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٥٢-٦٠٩، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، تحقيق ام. دي غوي (لیدن ١٨٦٩م) ج٣، ص ٣٤٩-٣٥١.
- F- Omar- (Some Aspectsof the Abbasid period 132-193.A.H). Arabica, Vol. XXII (1975) PP. 170 FF;J.Iassner. The Shaping of the Abbasid Rule (Princeton, 1980) PP.70ff.
- (٩) انظر الرسائل التي تبادلها الخليفة المنصور مع محمد النفس الزكية، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٦٦-٥٧١، فاروق عمر، الرسائل المتبادلة بين المنصور ومحمد النفس الزكية، مجلة العرب (١٣٩٠هـ/١٩٧٠) ج١، ص ٢١ وما بعدها.
- (١٠) تشير الروايات التاريخية الى دور قبائل بني سليم، وجهينة، ومزينة في مساندة محمد النفس الزكية ومناهضة جيش العباسيين، وللمزيد من التفصيل انظر، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٥٠ وما بعدها، البلاذري، انساب، ج٣، ص ٨٨ وما بعدها، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٢٣٥.
- (١١) ابن بكار، أخبار الموفقيات، ص ١٨٦، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٧٩.
- (١٢) المصدر نفسه، ج٧، ص ٥٥٠، ٥٩٠.
- (١٣) للمزيد من التفصيل عن تلك الفتوى التي أدلى بها الامام مالك، انظر: الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٦٠، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٢٩٨، جلال الدين السيوطي. تاريخ الخلفاء، تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة، ١٣٧١هـ) ص ٢٦١.
- (١٤) انظر، أبو عبد الله محمد بن مسلم ابن قتيبة الامامة والسياسة، تحقيق، طه السبرني (بيروت ١٣٧٨هـ) ج٢، ص ١٤٨، الطبري، تاريخ الرسل، ج٧، ص ٥٦٠، مؤلف مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص ٢٩٨.
- (١٥) انظر أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك بمعرفة اعلام مذهب مالك (الرباط، ١٤٠٣هـ) ج٢، ص ٩٨.
- (١٦) من الأمراء الذين ارسلهم الخليفة المنصور الى المدينة المنورة، وياد بن عبيد الله الحارثي، وأحسن بن زيد، ومحمد بن خالد القسري، وعثمان بن رباح المري، وعبد الله بن الربيع، انظر مقالنا في مجلة المنصور عدد يناير ١٩٩٢م.
- (١٧) ابن بكار، أخبار الموفقيات، ص ١٨٦.
- (١٨) لقد ترك الخليفة أبو جعفر المنصور لولده المهدي دولة متزامنة الاطراف، حالية من الفوضى والاضطرابات الداخلية، الى جانب انه ترك له حراسة واهله وماله، علما انه صادر اموالا كثيرة من العلويين وغيرهم من الثوار في المدينة المنورة لا انه عندما حضرته الوفاة كان قد ترك بعض الصنائع لولده، كان يحس الى بعض من أساء له - الخليفة المنصور - وخصوصا من القرشيين فبدعهم فهدايا ولاعقب، بل وبوليهم المناصب الادارية، فكان جعفر بن سبهان صهر من صنفت عليه صنائع الخليفة المنصور.
- (١٩) للمزيد من المعلومات، انظر، ابو العباسي أحمد المقريري، الذهب المنسوك في ذكر من حج من خلفاء والملوك (القاهرة ١٩٥٥م) ص ٢٦-٣٨.
- (٢٠) انظر، أبو عبد الله الاثير بن بكار، جهرة سب قريش، تحقيق محمود شاذل (الذهرة، ١٣٨١هـ) ج١، ص ٣٠٣، فضل الدين مكي الهروي، كتاب لاعلام باعلام بيت الله الحرام، تحقيق، ف. وسيفلند (بيروت ١٩٦٤م) ص ٩١. انظر أيضا مقالتنا التي نشر في عدد مجلة المنصور العدد ٩٧ ص ص ٨٨٨٢ عنوان موقف حنفاء بن العباس الأوائل بحيرة نعد من الحجاز (١٣٢-٢٣٢هـ).
- (٢١) أبو يوسف يعقوب بن سفيان القسوي، كتاب المعرفة والتاريخ، تحقيق تكريم صبيح العمري (بغداد ١٣٩٤هـ) ص ١٣٩.
- (٢٢) شهاب الدين أحمد البويري، نهاية الارب في معرفة أحول العرب، تحقيق محمد أبو الفضل وأخريين (القاهرة، ١٣٤٢هـ) ج٤، ص ١٧.